مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
ISSN : 2392 - 5361
العدد الثاني/ ديسمبر 2015

Mila Univ center. Publish. Co.

من فلسفة العنف إلى فلسفة الثورة _هربرت ماركوز أنموذجا_

From the Philosophy of Violence to the Philosophy of Revolution: Hebert Marcuse as a Case Study

د. عبد الغني بوالسكك
جامعة باتنة 1- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2015/09/10 تاريخ قبول النشر: 2015/11/29

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان العلاقة الجدلية بين العنف والثورة، ودور الثورة في تغيير الأوضاع الاجتماعية والانتقال بالمجتمع من الحالة الستاتيكية إلى الحالة الحركية، وموقف الفكر الفلسفي من العنف والثورة، ممثلا في وجهة نظر أحد الفلاسفة الغربيين، أما نتائج هذه الدراسة المرجوة فتكمن في التمييز بين العنف المشروع وغير المشروع، وحقيقة الثورة ، وما تقود إليه من مجتمع جديد كما تحاول أن تسلط الضوء على الإنسان المعاصر الذي أصبح أحادي البعد، عندما حصرت وظيفته في الاستهلاك، ومن هنا حق لنا أن نغير الكوجيتو الديكارتي من "أنا أفكر إذا أنا موجود" إلى "أنا استهلك إذا أنا موجود" حيث قام المجتمع الصناعي بقتل جميع الرغبات والغرائز في الإنسان وافقده الإحساس بالفن والجمال والقيم، وجعله يعيش بعدا واحدا، من هنا لا بد من الثورة الشاملة التي تقوم بفعل التغيير وتعيد للإنسان إنسانيته.

الكلمات المفتاحية: العنف، الثورة، البعد الواحد، التغيير.

Résumé:

Cette étude vise à illustrer précisément la relation dialectique entre la violence et la révolution, ainsi le rôle de la révolution à changer la situation social autant que la société se transfère de la situation statique au situation dynamique, mettant en exergue également l'attitude de la pensée philosophique vers la violence et la révolution comptant, en effet, sur un point de vue d'un philosophe occidental.

Quant aux résultats conclus de cette étude destinés à distinguer catégoriquement entre la violence légale et illégale , ainsi la réalité de la révolution menant à une société nouvelle Entrez le texte à traduire ici...Aussi essayer de mettre en évidence le moderne l'homme qui est devenu une dimension, lorsque confiné et sa consommation et donc notre droit de modifier les alkogito cartésien « je pense donc je suis » à "je consomme donc je suis" comme la société industrielle de tuer tous les désirs et instincts humains et perdu le sens de l'art et de beauté, des valeurs et lui faire vivre une seule dimension, être ici la révolution globale qui n'a changé et retourne à son humanité.

***Mots clés**: violence, révolution, unidimensionnel, changement.*

مقدمة:

تُعتبر فكرة الثورة أساسية في فكر ماركوز، ومفهوم الثورة عند ماركوز يختلف عن المفهوم الماركسي لها، ولذا فقد خصّص كثيراً من كتبه لبحث فكرة الثورة وأهمها: "العقل والثورة" "الفلسفة والثورة"، "الثورة والثورة المضادة" "نحو ثورة جديدة"، لكن ما يهمنا هنا هو إشكالية من بين أكبر الإشكاليات التي طرحها ماركوز وعالجها بعمق ألا وهي "إشكالية العنف والثورة" فماركوز ميّز بين العنف المطلق الهدّام والعنف الثوري البنّاء، فهذا الأخير عنف مشروع يقوم به المضطهدون والمقهورون من أجل الحرية والتحرر إنه عنف ثوري تقدمي بنّاء لا رجعي، بُنيت عليه كثير من الثورات التي غيّرت التاريخ "كالثورة الفرنسية" فكل ثورة في العالم ضد الطغيان والقمع والقهر هي ثورة مشروعة، تُعبّر عن وعي وحياة المجتمع لا موته، ولا يمكن أن تكون ثورة دون "سلاح" اسمه العنف، وهذا النوع من العنف الذي يقاوم التسلط والقمع آمن به كثير من فلاسفة السياسة، بل شرّعوه ودافعوا عنه ما دام يهدف إلى التحرر والبناء، إنه عنف يستمد مشروعيته من هدفه الأسمى، ولا يمكن قياس وعي شعب يخضع للاضطهاد إلا بدرجة ثورته العنيفة الثورة التي ستقود إلى تغيير في

أشكال الحياة ومظاهرها، وما الثورة في حقيقة الأمر إلا عنف منظم أساسها العقل وهدفها التغيير وغايتها التطوير وسلاحها العنف.

مشكلة الدراسة: ومن هذا كان لنا أن نتساءل عما هي حقيقة الثورة عند ماركوز؟ وهل هي عنف منظم؟ ومن يقود الثورة؟ وما هدفها؟ وكيف يمكن أن نميز بين المشروع من الثورة وغير المشروع؟

كيف يمكن للعنف الثوري أن يغيّر السلطة والدولة، بل والتاريخ؟

إن جدلية العنف والسلطة والثورة عند ماركوز تنطلق أولاً من تصوره للثورة ووسائلها وأهدافها لأنه "حين نتناول تصور الثورة عند ماركوز نلاحظ أنه تصور مغاير لتصور ماركس، ذلك لأن الأول له طرح جديد للمسألة يحركه سؤالان هامّان: ما هي القوة التي يجب أن تقوم بالثورة ؟ ثم فيم تتمثل هذه الثورة ؟"[1] وهو تساؤل مشروع بنّاء ما دام ماركوز واقعي في الطرح، يحاول أن يبيّن لماذا الثورة ؟ ومن يقوم بها ؟ وما وسائلها وأهدافها ؟ فهو فيلسوف ثوري.

وإذا عدنا بدايةً إلى التصور الماركسي، قبل دراسة وتحليل التصور الماركوزي، فإنه "تتحقق الثورة في التصور الماركسي بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة واضمحلال الاضطهاد المميز للمجتمع الرأسمالي."[2]

لهذا فقد آمن ماركوز بدايةً بقوة الطبقة العاملة في إحداث الثورة لكنه فقد ذلك الأمل بعد أن لاحظ إدماج هذه الطبقة في النظام لهذا فهو يتحدث عما يجب أن يكون لا عمّا هو كائن فقط، وها هو يقول عن هذه الثورة العمالية العالمية: "فالثورة البروليتارية تلغي مع تصفية جميع الطبقات البروليتارية كطبقة وتخلق بالتالي عاملاً جديداً للتقدم، ألا وهو جامعة البشر الأحرار الذين ينظّمون مجتمعهم وفق إمكانيات الوجود الإنساني لأعضائه كافة."[3]

وتهدف هذه الثورة العنيفة حسب ماركوز _ إذا ما تحققت_ إلى التحرر وتغيير الأوضاع السائدة والقضاء على القمع والتسلط وتحقيق مطالب ورغبات الطبقة الفقيرة التي قضت عليها الرأسمالية، وإذاً فإن "العنف هو أحد الأدوات اللازمة من أجل الثورة وبالتالي للوصول إلى السلطة بهدف تحطيم علاقات الإنتاج الرأسمالية فالصراع الطبقي، والثورة والعصيان المُلحّ والحروب على مختلف أشكالها هي نتاج لظاهرة التناقضات المجتمعية."[4]

وعلى هذا يحدد الماركسيون العنف على أنه اجتماعي طبقي موجه ضد نظام الاحتكارات لكنه لا يخلو من البعد السياسي ومادام العنف اجتماعي في أصله، فإن الثورة لا تتحقق إلا بهذا الصراع الطبقي، ولو أن ماركوز لاحظ بأن الرأسمالية عملت على إزالة الصراع الطبقي مما أفقد البروليتاريا صفة الثورية، حيث يقول "إن كفّ البروليتاريا عن التصرف كطبقة ثورية وهزيمة الثورة البروليتارية قد توقعتها النظرية الماركسية."[5]

فرغم إيمان الماركسية بضعف دور الطبقة البروليتارية في الثورة، إلا أن ماركوز يؤمن بأن جدلية التاريخ وصراع المتناقضات وتغيّر الظروف سيقود يوماً ما هذه الطبقة_ إلى جانب فئات أخرى_ إلى أن تعي دورها ووظيفتها التاريخية في القيام بالثورة لتقوم بعنف اجتماعي سياسي ضد قوى التسلط مما يؤدي إلى انهيار النظام وسيطرتها على الدولة، خاصة والواقع يؤكد كل يوم سيادة وزيادة الفقر والبؤس والاضطهاد، وإن استقراء التاريخ ووقائعه وأحداثه يؤكد أكثر أن الأعمال الثورية سيصاحبها استخدام غير نمطي للعنف كما حدث في الثورة الفرنسية سنة 1897م، وهذه هي الأفكار التي يؤكدها ماركوز باعتباره وجّه نقداً للمجتمع الغربي فالثورة ستقع بسبب ما تعيشه الطبقة العاملة من إفقار وبؤس اجتماعي.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: ما هي الثورة عند ماركوز؟ ولماذا لا بد أن ترتبط بالعنف؟ وما صلتها بالسلطة والنظام؟ وهل الثورة سياسية فقط؟

إن الثورة عند ماركوز تعني قبل كل شيء "سقوط نظام، أو دستور معين لطبقة معينة واستبداله ببنية اجتماعية وسياسية جديدة كما أن هذا التعريف يستبعد الانقلابات العسكرية وما يشبه من قوى مضادة للثورة."[6]

وهذا هو المفهوم الإيجابي للثورة، لأنها تصبح عندئذ وسيلة تغيير مشروعة حتى ولو حملت طابع العنف ووصفها خصومها بالعنف غير الشرعي، وحتى ولو وقعت ثورة دون عنف حسب ماركوز فلا مشكلة، لأن السلم أفضل من الحرب والتغيير الفكري في المبادئ وإشباع الحاجات، هو هدف الثورة وإذا تحقق ذلك دون عنف فهذا أفضل لأن "ما يهم في نهاية الأمر عند ماركوز هو ضرورة قيام ثورة في القيم والحاجات (...) فالثورة يجب أن تكون فكريةً ومزيلةً للاستلاب بقدر ما تكون غريزية."[7]

وبالفعل، فإن ماركوز يشترط الوعي بالثورة قبل قيامها، حتى لا يحدث العنف الثوري الفوضوي الذي قد يُقوّض الثورة في بدايتها فالثورة من أكبر وسائل التغيير، سواء أكانت

بالقوة المادية أم كانت سلمية إلا أنها غالباً ما ترتبط الثورة أكثر بالعنف ونادراً ما تحدث ثورة سلمية، وتظهر علاقة الثورة بالعنف أكثر عندما تجد الثورة مقاومة بالقوة، وهذه الجدلية هي التي تجعل الثورة عنيفة، فلكل ثورة ثورة مضادة، ولكل عنف عنف مضاد إذاً "فالثورة، وهي استخدام القوة التي يصاحبها العنف، كلما كان ذلك ضرورياً، وذلك لهدم النظام القائم وتصاحب الثورة تغيرات أساسية وسريعة في مؤسسات الدولة والأبنية الطبقية، وهدفها النهائي يتجه أساساً إلى إعادة توزيع القيم (...) وإحداث تغييرات جوهرية في النظام القائم."[8]

فأكبر ما تهدف إليه الثورة، هو تغيير البنية التحتية، وما يتبعها من تغيّر في البنية الفوقية والتي منها خاصةً السلطة السياسية، وإذا ما قامت البروليتاريا بدورها التاريخي المأمول سيحدث هذا التغيير حتماً ولكن عندما "تُنظّم (...) نفسها في طبقة ثورية واعية لرسالتها ومستعدة لإنجازها، حتى يتوجّب استخلاص وسائل ذلك من الموقف السياسي والاقتصادي الآني وعلى كل حال ليس العنف ملازماً لعمل البروليتاريا كما أن الوعي الطبقي لا يرتبط بالضرورة بالحرب الأهلية، ولا يعبّر عن نفسه من خلالها حتماً."[9]

إذاً فشروط حدوث ثورة عنيفة تقودها البروليتاريا حسب ما حددها ماركوز هي وجود وعي ثوري لدى هذه الطبقة وتنظيم محكم، أما الوسائل فتحددها الظروف السياسية والاقتصادية وأهمها العنف، رغم أنه ليس شرطاً ضرورياً عند ماركوز على خلاف ما يراه الماركسيون، لأنه عند ماركوز وسيلة وليس غايةً إذن "فالثورة حركة تهدف إلى تغيير النظام السائد في مجتمع ما تغيّراً جذرياً يتناول مبادئه وأهدافه (...) مما يحقق لهذا المجتمع الحياة الحرة التي ينشدها."[10]

ومنه يجب ألاّ يكون عنف من أجل العنف، وثورة من أجل الثورة، بل لا بد أن تكون الثورة موجهةً ولها أهداف مخطط لها مسبقاً حتى لا تقع بدورها في العنف الفوضوي والذي رفضه ماركوز وحتى تكون موجهةً لابد أن تكون لها برامج مدروسة ومناهج عمل تبذل من أجل تحقيقها، لكن يبقى السؤال ما طبيعة العنف الذي يرتبط بالثورة عند ماركوز؟

يرى ماركوز أن العنف وسيلة لا يرتبط بجوهر الثورة بالرغم من إيمانه بأن السلطة تستخدمه ضد هذه الثورة، حيث نجده يقول في ذلك عارضاً وجهة نظر ماركس وإنجلز "إن العنف لا يتعلق لا بالشروط الموضوعية، ولا بالشروط الذاتية للثورة وإن كان ماركس

وإنجلز مقتنعين بأن الطبقات الحاكمة لا تستطيع ولا تريد أن تستغني عن العنف."[11] وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الشروط التي تؤدي إلى قيام الثورة العنيفة؟

إذا كان للثورة شروط موضوعية قامت من أجل تحقيقها، فإن العنف يكون أداةً للثورة لا هدفاً، فقد تقوم الثورة كنتيجة له وليس سبباً عنه، إلا إذا كانت ثورة مضادةً لعنف مضاد، أو عنف النظام، وهو ما يراه **شعبان الطاهر الأسود** عندما يقول في كتابه: "علم الاجتماع السياسي" "فالعنف (لا يعني) أنه أداة من أدوات الثورة فقط بل نجد أن الثورة قد تكون كنتاج مباشر لممارسة العنف فالعنف الذي تمارسه الدولة أو النظام السياسي في أيّ المجتمعات ضد الأفراد، والجماعات الاجتماعية _على اختلافها_ والتنظيمات السياسية والخصوم السياسيين، كل ذلك يُعدّ من الأسباب الدافعة للثورة وقيامها."[12]

أما فيما يخص كيف تنشأ الثورة فإن السبب الأساسي حسب ماركوز هو زوال الحرية، وظهور الاضطهاد والتفقير والقمع والتسلط الممارس من طرف النظام، لهذا تنشأ الثورة عن طريق تذمّر الجماهير واستيائها ورفضها للسلطة السياسية التي لم تحقق طموحاتهم في العدالة والحرية، ولكن كيف تقابل الثورة من طرف الدولة وسلطتها ما دامت الثورة موجهة ضدها؟

يرى ماركوز، أن الدولة تحاول ألاّ تحدث الثورة العنيفة بلجوئها إلى طرق ووسائل مزيفة كمنح بعض التنازلات من أجل الحفاظ على سيطرة الطبقة الحاكمة، ما دام ذلك يحفظ مصالحها وهو ما حصل في بعض الدول الغربية وهنا يقول : "إن عدداً من دول الغرب قادر على استغلال انتصاره بمنح الطبقات المضطهدة تنازلات، لكنها توفر مهما تكن تافهة الحركة الثورية في هذه البلدان وتخلق شيئاً ما يشبه السلام الطبقي."[13]

ولأن الدولة تخاف الثورة والعنف تلجأ إلى هذه الحيل حتى تمتص غضب الذين يريدون الثورة، لأن النظام يعلم خطر الثورة والذي يكمن بالأساس في أنها أهم وسيلة لإحداث تغييرات اجتماعية وسياسية وهذا هو الهدف الحقيقي من الثورة، وبعد هذا يتساءل ماركوز عمّن يقوم بالثورة إلى جانب البروليتاريا_المحتملة_؟

ليؤكد أن هناك فئات كثيرةً والتي منها فئة الطلبة التي تُعد بالنسبة إليه بذوراً لثورة قادمة، ولهذا فقد عُد ماركوز أحد الزعماء الروحيين لثورة الطلاب في الستينيات في أوروبا، بالرغم من أنه أكد أن الطلبة يشكلون بذرة الثورة لكنهم غير قادرين عليها في الظروف الراهنة حيث قال عنهم: "إنني أرى أن المعارضة في الطلابية الحالية عاملاً من عوامل التغيير

في العالم ولكن ليست كقوة ثورية فورية كما عاتبني البعض على ذلك، بل كخميرة فعّالة وسوف تتحول يوماً ما إلى قوة ثورية فعّالة."[14]

ولكن ما تنبأ به ماركوز لم يحصل لا في الدول الغربية ولا في غيرها في هذا العصر بالرغم من أننا نجده يتكلم كثيراً عن ثورية الطلاب و المهمشين والطبقة العاملة، هاته الأخيرة التي أصبحت في خدمة النظام بما طرأ عليها من تغيير ودمج وأصبح تفكيرها **أحادي البعد**، وعليه لابد من العمل على خلق طبقة عمالية ثورية جديدة تعي دورها التاريخي.

وبالإضافة إلى البروليتاريا والطلبة، يرى ماركوز أن هناك قوةً ثوريةً أخرى يمكن أن تحمل مشعل العنف الثوري وتؤدي إلى تغيير تاريخي، ألا وهي الحركة التحررية النسوية التي يقول عنها ماركوز: "ويمكن أن تصبح الحركة التحررية النسوية قوةً ثالثةً للثورة المرتقبة."[15] والسبب في إمكانية قيام هذه الفئات بالثورة والعنف إلى جانب الفئات الأخرى بسبب عزلها عن العملية الإنتاجية الشيء الذي ولّد الوعي السياسي المتطرف الذي حوّل بدوره تجربة الاغتراب إلى ثورة ضد الحضارة والثقافة المهيمنة، وإذاً قد يكون للثورة دور إيجابي اجتماعي وسياسي كبير، من حيث أنها تخلق الوعي الطبقي لدى فئات المجتمع المضطهدة من طرف السلطة ممّا يجعلها تطالب بالحرية والتحرر والتغيير لكن النظام استعمل ويستعمل عدة طرق للحفاظ على كيانه ومصالحه، منها خاصةً ما يسميه ماركوز **بالثورة المضادة**، وذلك عندما جعل هذه الفئات تدافع عن سلطته بهذه الثورة المضادة ولا تفكر في الوقوف ضدها_ وهي أكبر ما يهدد نجاح الثورة العنيفة_ وها هو يقول على لسان أحد الرأسماليين "إنه ينبغي عمل كل شيء من أجل تهيئة البروليتاريا وسائر السكان الكادحين للنضال من أجل السلطة."[16] لا ضدها، لكن بالرغم من ذلك فإن ماركوز أدرك أن الرأسمالية التي تبدو في ظاهرها موحّدةً تشوبها في باطنها صراعات عنيفة، أي أنها تحمل في ذاتها التناقض الذي سيقودها إلى الدمار والزوال، وهنا نجده يقول: "تُصوّر الوحدة الرأسمالية وكأنها مشوبة بنزعات عنيفة بين المصالح تدور في سوق عالمية منكمشة."[17]

إذاً ما يُستنتج من التحليل السابق أن الثورة المضادة، هي أول خطر يواجه الثورة وعادةً ما تكون من السلطة والنظام القائم لأن هذا الأخير يريد الحفاظ على وجوده وعلى

مصالح فئة قليلة من أفراده وفقاً لقاعدة "الفعل ورد الفعل" لكن ما هي الثورة المضادة التي كثيراً ما حذّر منها ماركوز؟

يعبّر عنها شعبان **الطاهر الأسود** قائلاً: "الثورة المضادة والتي تتمثل في مجموعة العوامل التي تحقق معارضة للثورة بل تسعى للنيل منها، وباعتبارها عملية تغيير، فإنها تُقابل بعملية مقاومة من هؤلاء الذين قضت الثورة على مراكزهم، وأولئك الذين هدّدت الثورة مصالحهم المكتسبة (...) كل هؤلاء يتحالفون معهم يكوّنون الثورة المضادة."[18]

ولكن إذا حدثت ثورة وثورة مضادة، فما هي حدود نجاح الثورة؟ إن نجاح الثورة متوقف بالدرجة الأولى على الوعي، خاصةً الوعي الديمقراطي الحقيقي، فالديمقراطية الصحيحة حسب ماركوز هي التي تقود في النهاية إلى نجاح العنف الثوري ضد القوى المضادة للثورة والتي تقف أمام تقدمها، وإلى جانب الدولة كنظام مضاد للثورة يرى ماركوز وبعض المفكرين أن الطبقة العاملة بسبب دمجها في النظام قد تُصبح بذلك قوةً مضادة للثورة، وهو ما يراه "**بيار دومنيك فاقر**" في كتابه "**الماركسية بعد ماركس**" بأن الهدف من الثورة هو: "الثورة في سبيل مجتمع لا ضاغط على الرغم من دخول الطبقة العاملة دخولاً كاملاً الحضارة الصناعية المتقدمة بوصفها القوة الفاعلة في المسلسل الإنتاجي فإنها تبقى "القوة الفاعلة في تاريخ الثورة"، والعمال "موضوعياً" هم الطبقة الثورية ولكنهم "ذاتياً" الطبقة التي أصبحت قوةً محافظةً، وفي نفس الوقت مضادةً للثورة."[19] وهذا ما قصده ماركوز بالضبط عندما تكلم عن الدور السلبي الذي أصبحت تقوم به الطبقة العمالية في الثورة، ومن هنا نجده لا يأمل كثيراً في دورها الثوري، ويبحث عن طبقة عمالية جديدة، وعليه فعنف الثورة قد يُحطّم النظام السياسي ويكون بالتالي خطراً على السلطة، لكنه كعنف ثوري يكون أساسه ومنطلقه وقاعدته المجتمع الطامح إلى التغيير، وبهذا يرتبط العنف أشدّ الارتباط بالسلطة وبالثورة لأن "المدلول المحدد للثورة مدلول عنفي أكثر مما هو سلمي، فهي تعني انفجار قوى تشق طريقها بالقضاء على مقاومة الوضع القائم وتحقيق غرضها بإبداله بنظام آخر يختلف عنه."[20] أي أن الثورة هدفها القضاء على وضع وتغييره بآخر، لكن يجب ألاّ يكون هذا الوضع الجديد أسوأ من الأول وهو ما دفع ماركوز لأن يستعرض رأي الفوضويين الذين يطالبون بإلغاء الدولة ونقده لهم، لأن هذا الإلغاء السياسي للدولة من طرف الطبقة العاملة في حقيقته ليس إلغاءً مطلقاً، بل من أجل

الوصول إلى صورة حكم يزول فيه القمع والاضطهاد، وهنا يقول: "إن الفوضويين يصرّحون أن الثورة البروليتارية يجب أن تبدأ بإلغاء التنظيم السياسي للدولة."[21]

وبهذا النقد، يستغرب ماركوز هذا الموقف المتناقض، لأن البروليتاريا ستجد نفسها تحتل الدولة التي قضت عليها وتمارس مكانها السلطة، إذن ليس الهدف هو القضاء على الدولة أو السلطة بالعنف والثورة وبصفة مطلقة، بل الهدف هو التغيير، تغيير نظام بآخر: نظام طاغ بنظام حر غير قمعي هذا هو الهدف الأسمى للثورة، إنه هدف تقدمي لا رجعي، هدف نجده داخل كل ثورة واعية وهادفة لأن زوال الدولة كليةً هو في الحقيقة حسب ماركوز أحد أشكال التخلف والرجعية والفوضوية و العدمية، فللدولة وسلطتها السامية القانونية وظيفة تنظيمية، هذه الوظيفة هي التي نجدها غائبةً في الأنظمة التسلطية الشمولية القائمة على القمع فكانت بالتالي لا تعبّر عن الحرية وعن الإنسان، بل عن ذاتها فقط، مما زاد من طغيانها وهنا يقول: "وما دامت السلطة السياسية السلطة المنظّمة لطبقة بهدف اضطهاد طبقة أخرى، فإن توحيد الهُويّة الباقية لذات الدولة وموضوعها يميل إلى تحويل الإكراه إلى تسيير عقلاني."[22]

وما على الطبقة البروليتارية بعد أن تستولي على السلطة إلا أن تقضي على كل اضطهاد أو إكراه وطغيان وتجعل الدولة في خدمة المجموع لا في خدمة فئة مهيمنة، وهذا أحد الأهداف السياسية للثورة كما حدث في الثورة الفرنسية التي كثيراً ما يستشهد بها ماركوز وما نتج عنها من تغيير سياسي ترتّب عنه تغيير في جميع مجالات الحياة، وهو ما جعله يؤكد أن الدولة الجديدة لا تتوقف مهامها هنا فقط، بل لا بد أن تشمل جميع مجالات الحياة الاقتصادية والعسكرية...إلخ، وعليه فـ"الوظائف الجديدة المشتركة (للدولة) تصبح فرعاً جديداً من فروع تقسيم العمل وتصبح لها بالتالي مصالح خاصة منفصلة عن مصالح السكان، وبذلك تصبح الدولة من جديد سلطةً مشيّأةً مجردةً."[23] ولتأكيد دور الثورة العنيف في التغيير يستشهد ماركوز بأشهر الثورات التي قامت قديماً وأدت إلى تغييرات كثيرة هي "**ثورة العبيد**" مؤكّداً أنه: "ومنذ ثورة العبيد في العصور القديمة إلى الثورة الاشتراكية، فإن نضال المضطهدين انتهى إلى إقامة نظام جديد من السيطرة "أفضل"_لماذا يقول ماركوز إنه نظام أفضل؟ _لأنه يعتقد أن _كل ثورة (كانت) عبارة عن جهد واع (...) كانت قد حرّرت قوى "تجاوزت الحد" فكانت تناضل هذه القوى (مجدّداً) لإلغاء التسلط والاستغلال."[24]

ولكن لماذا لا تنجح الثورات أحياناً حسب ماركوز؟

يجيب ماركوز أن الأسباب كثيرة، ومنها على الخصوص دخول بعض العوامل الانهزامية مما يحكم على الثورة بالفشل، وعن هذه الانهزامية يقول: "ففي كل ثورة تلوح فيها لحظة تاريخية كان يمكن فيها للنضال ضد التسلط أن ينتصر، غير أن هذه اللحظة تنقضي. فكان هناك عنصر انهزام ذاتي يلوح متضمناً في هذه الحركية."[25]

ولكن الأمل في نجاح الثورة التي يأملها ماركوز يبقى قائماً في كثير من فئات المجتمع الأخرى التي يقول عنها "**علاء صاهر**": "يرى ماركوز أن الأمل في الطبقات الهامشية الرافضة، والتي لم تدخل في لعبة النظام بعد ولم يكن للنظام مصلحة في احتوائها (...) ومن الواقع السوداوي المغلق حيث يموت كل احتمال للثورة تنبثق إمكانية الثورة نفسها."[26]

وحتى ولو تتوافر العوامل الموضوعية لقيام الثورة إلا أن الآلة التي في حوزة النظام قادرة على امتصاص أي محاولة للعنف والثورة، وهذا موافق نسبياً لرأي ماركوز الذي يعبّر عنه "**الطيب تيزيني**" بقوله: "لقد اعتقد ماركوز بأن الآلة التقنية العلمية الضّخمة التي في حوزة الإمبريالية قادرة على استيعاب كل احتمال للتمرد على العلاقات الإنتاجية المهيمنة هناك وذلك على نحو تذويبي بحيث تغدو مقولة الثورة وهماً من أوهام إيديولوجيا التحريض الجماهيري."[27]

وفي هذه البلدان الصناعية الرأسمالية وما تملكه من تأليل وتقنية تمارس بهما القمع والتسلط، يرى ماركوز صعوبة قيام التغيير عن طريق العنف الثوري بل إنه "لمن الخرق تماماً، أن نبحث عن العوامل النوعية للتغيير الثوري في البلدان الرأسمالية المتقدمة. سوف تثب القوى الثورية خلال مسير التغيير، في مجراه نفسه؛ وللمراس السياسي يعود الأمر في تحويل المحتمل إلى واقعي والممارسة السياسية لا تستطيع أكثر مما يستطيع الفكر النقدي أن تتأسس على مفهوم للثورة."[28]

لأن كل ثورة في التاريخ سعت إلى تغيير الأوضاع، كان الذين حملوا لوائها من الطبقات الدنيا والذين قد يجدون مساندة من أبناء الطبقات العليا الذين فقدوا بعض امتيازاتهم، تقول في ذلك حنّة أرندت "(إن) تاريخ الثورات (يبرهن) حين يحدث _دائماً_ أن يتحرك عدد من أبناء الطبقات العليا في رد فعل على سوء الأوضاع والظلم فيقودون الثورات التي ينتفض فيها المضطهدون والبائسون في مواجهة أحداث وشروط اجتماعية مثيرة للغضب يكون ثمة إغراء كبير بضرورة اللجوء إلى العنف بسبب قدرته التفجيرية وميزته كعمل فوري."[29]

ولهذا يؤكد ماركوز أن أيّ تغيير ثوري لا يمكن أن يكون إلا بالاستيلاء على السلطة لأنها هرم التغيير، فهذه جدلية التاريخ السياسي وتطوره، ويكون الاستيلاء على السلطة حسب ماركوز عن طريق "وثبة جماهيرية، بإرادة حزب ثوري، طليعة طبقة ثورية يكون من شأنها أن تضع في الساحة سلطة مركزية جديدة لتحرك التغييرات الاجتماعية الأساسية."[30]

فالثورة حسب ماركوز لا بد أن تكون واعيةً وهادفة لاستبدال سلطة نظام طاغ بسلطة جديدة، لهذا كان همه النتائج ومدى تأثيرها في الأشخاص وفي الطبقات الاجتماعية. من خلال تفكيره في الثورة والعنف، وعليه ففكر ماركوز فكر واقعي ثوري يبحث ما كان ليدرس ما هو كائن ويتنبأ بما سيكون على جميع الأصعدة فالفكر وحده لا يغيّر إذا لم ترافقه ممارسة، وفعل التنظير وحده لا يكفي ولهذا جعل الماركسيون همهم في تغيير العالم لا تفسيره، فالفكر خاصةً الفكر السياسي: فكر وممارسة ففي قلب كل سلطة عنف وثورة وفي قلب كل استبداد وطغيان حريات عنيدة وتحرر ثوري بحاجة إلى من يوقظها والتحرير الثوري العنيف هو الخيار الوحيد أمام الثوار، لأنه لا يوجد من يساندهم وخاصةً عندما "تتوافق العوامل التاريخية للثورة (...) فليس لدى الفقراء برجوازية ليبرالية تتحالف معهم وتناضل إلى جانبهم فهم تحت رحمة الحكام السياسيين المتسلطين (...) فسيكون كفاح التحرير في جوهره كفاحاً عسكرياً (...) تلك هي الفرصة الكبرى أمام قوات التحرير."[31]

إذن فالثورة في الفكر الماركوزي أساس التحول في المجتمعات والتغيّر الذي يشمل كل مجالات الحياة لكن السؤال هو كيف يتم ذلك؟

يكون ذلك_حسب **سهير عبد السلام** صاحبة كتاب_"**مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركوز**" بالثورة لأن "الثورة عند ماركوز نقطة التحول من منظومة السيطرة في الواقع القائم إلى تحرر الإنسان وخلاصه من تلك السيطرة والثورة (...) عند ماركوز هي "إزاحة نظام قائم ومستقر من الناحية الشرعية والدستورية بواسطة طبقة اجتماعية أو حركة معينة تستهدف تغيير البنيان الاجتماعي والسياسي."[32] ولكن ماركوز يتوقع أن يكون لكل ثورة عنف مضاد من طرف النظام السلطوي، هدفه القضاء على هذه الثورة، ثم يعود ماركوز ليتكلم عن الشروط الأساسية لقيام ثورة ناجحة، لكنه هذه المرة يبني هذه الشروط على أساس نقده للثورة العنيفة في الفكر الماركسي، فنجده يؤكد أنه إذا أرادت الثورة الماركسية أن تتحقق عليها أن تلتزم هذه الشروط التي يقول عنها "**حسن محمد حسن**" "يرى ماركوز أن الثورة الماركسية كي تكون قابلة للتطبيق ينبغي توافر مجموعة من الشروط الأساسية هي:

1_ بلوغ مستوى مرتفع من الإنتاجية (...)

2_ نمو التنظيم السياسي للطبقات العامة (...)

3_ وجود أزمة داخل النظام الرأسمالي (...)

4_ أن تكون الثورة مهمة الأغلبية (...)

5_ أن يتم تنظيم الوعي الطبقي وتثقيفه في ظل مُناخ من الديمقراطية.[33]

وإن تحليل ماركوز لمفهوم العنف الثوري في الفكر الماركسي، وشروط قيام هذه الثورة، ونقد هذا المفهوم وهذه الشروط، كل ذلك كان من أجل اقتراح استراتيجية جديدة، تكون هذه الاستراتيجية ثورية ويكون هدفها تغيير السلطة القائمة والسيطرة عليها. وبعد هذا يقول حسن محمد حسن بعد عرضه لشروط الثورة في الفكر الماركسي السالفة الذكر وربطها بالاستراتيجية التي يقترحها ماركوز: "وتقوم الاستراتيجية الثورية الماركوزية في الثورة على عدة محاور:

1_ تحرير الوعي وبزوغ ذات تاريخية جديدة.

2_ القطيعة التامة مع الأنظمة القائمة أو مبدأ الرفض الكبير.

3_ الدور التنويري للإنتلجنسيا."[34]

لماذا هذه الشروط؟ ولماذا هذه الاستراتيجية؟ وهل هي متوافرة في الواقع؟ وهل يمكن تحقيقها؟

أولاً: يؤكد ماركوز أن هذه الشروط غير مكتملة، لهذا ما زال العمل مستمراً على تحقيقها حتى تتحقق الثورة، ولو أن "**فؤاد زكرياء**" يرى أن سيطرة بعض القوى يمنع قيام الثورة الماركوزية بهذا المفهوم وبهذه الاستراتيجية حيث يقول: "يكتشف تحليل ماركوز للمجتمع الرأسمالي بوضوح عن اعتقاده باستحالة حدوث تغيير ثوري في هذا المجتمع على يد القوى الراهنة التي تسيطر على هذا المجتمع."[35]

فهناك قوى سلطوية مسيطرة تمنع قيام عنف ثوري، خاصةً السيطرة التي يفرضها النظام الرأسمالي من الجانب الاقتصادي والاجتماعي ولهذا لا بد أن يضاف_ثانياً_ إلى تلك الشروط دور المعارضة السياسية، فبالإضافة إلى قوة العنف الثوري في التغيير لا بد من توافر الشروط السابقة مع تأييد كبير للجماهير من طرف المعارضة ممثلةً في "**اليسار الجديد**" الذي يقول عنه ماركوز: "إن جذرية اليسار الجديد تُستلّ من التضامن العنيف هذا

في الدفاع (...ف) تؤدي الثورة الخارجية دوراً أساسياً في المعارضة الداخلية لأمهات البلدان الرأسمالية."[36]

بهذا كان للمعارضة دور كبير في الاستراتيجية الثورية الماركوزية وتغيير السلطة وحشد الجماهير الثائرة وتنظيم العنف الثوري.

وإذا لم تدمر الثورة السلطة القمعية، فإن هذا القمع سيستمر في كل أشكاله، وبأكثر حدّة وسيعيش المجتمع تحت الطغيان والاضطهاد، ويستخدم النظام فكرة الدمج لهذه القوى التي تشكل خطراً عليه وعندها قد يقضى على أيّ محاولة تحرر ومنه: "ما دامت سلطة الدولة لم تدمر، فإن قوى الدمج والقمع في النظام تظل تحتفظ بصراع الطبقات ضمن إطار الرأسمالية."[37] وهذا الصراع الطبقي ليس في خدمة الثورة ولا في مصلحة المجتمع، بل في صالح النظام لأنه يمتص غضب الجماهير، ولهذا السبب بالضبط يجب على البروليتاريا أن تتوحد لأن العدو واحد ولابد لها أن تثور، وأن تتخذ من العنف أساساً لثورتها لإسقاط طغيان البرجوازية، والقضاء على دولتها الاحتكارية، ومن هنا عدّ الكثير العنف أهم وسيلة لتحقيق ذلك، فها هو لينين يشير "إلى أهمية الثورة العنيفة في إلغاء الدولة البرجوازية ويفضح تحريف الاشتراكيين الديمقراطيين الذين ترعبهم كلمة العنف، فبدون ثورة عنيفة يستحيل إحلال الدولة البروليتارية محل الدولة البرجوازية."[38]

وبهذا الكلام يتحدد بالضبط أيّ دولة يجب إلغاؤها، لأن إلغاء الدولة المطلق عند الماركسيين لا يوافق عليه ماركوز، فهو يدعو لإلغاء الدولة التسلطية القمعية الممثلة في الدولة البرجوازية، ومن هذا تأكد فعلاً أن الثورة تستطيع إلغاء البرجوازية، فبواسطة العنف يتغيّر النظام _ بالرغم مما يحمله العنف من سلبيات أحياناً_ وأحياناً من تضحيات للوصول إلى هدفه، فإنجلز مثلاً يؤمن بدور العنف في التاريخ، على الرغم من سلبياته حينما يقول: "أمّا أن العنف (علاوةً على الشر الذي يسببه) ما يزال له دور آخر يلعبه في التاريخ دور ثوري، وأمّا أن يكون حسب تعبير ماركس القابلة التي تولّد كل مجتمع قديم حامل لمجتمع جديد (...) يكون العنف ضرورياً لهدم الاقتصاد القائم على العنف."[39]

وهنا نضيف فكرةً أخرى ترتبط بالثورة هي العنف الاقتصادي والمقصود به ما سببه النظام البرجوازي من إفقار واستلاب فالاقتصادي كامن في قلب السياسي، بل والعنف كامن في قلب كل عملية اقتصادية، لهذا يجب ألاّ ننظر إلى العنف من زاوية السياسي فقط، بل والاجتماعي والنفسي والاقتصادي أيضاً إذا أردنا أن نفهم هذه الظاهرة في كل

أبعادها، ولأنه حسب ماركوز تسبق العنف مظاهر أغلبها اجتماعية اقتصادية بسبب الإفقار ومن هذه المظاهر "رفض مفاجئ لانتظام العمل تراخ في الجهد الفردي عصيان معمم للقواعد والقوانين إضرابات همجية، مقاطعة وأعمال تخريب، عدم إذعان مجاني: تلك هي تعبيرات الانحلال في الأخلاقية الاجتماعية والعنف المنقوش في النظام القمعي يمكن أن يتفلّت بغتةً من الرقابة"[40] فتحدث عندئذ الثورة والتغيير لكن السؤال الذي يمكن طرحه هو لماذا قد تكون الثورة بسبب عوامل اقتصادية؟

نحن نعلم أن نقد ماركوز للمجتمع الرأسمالي واقتصاده، بيّن أنه مجتمع يقوم فعلاً على اقتصاد العنف، لكن لماذا لابد من الانتظام والوعي؟ يجيب على ذلك ماركوز قائلاً: "إن العفوية داخل المجتمع القمعي لا تستطيع أن تكوّن بنفسها قوة ثورية جذرية ضد جهازه الكلي الحضور."[41]

فالنظام فارض لوجوده وسلطته، فكيف يمكن تحقيق ثورة دون تنظيم وجعلها عفويةً تلقائيةً ؟ فهذا يقود إلى فشلها لا نجاحها لأن المجتمع الذي لا ينتظم في قوة واحدة لا يمكنه مواجهة قوة السلطة أو النظام لما يملك هذا الأخير من وسائل قمع مضادة لأي حركة عنف أو ثورة، ولأنه ليس من مصلحته قيام الثورة ولا تغيير النظام السائد، وفي ذلك يقول **جورج سوريل**_ أحد أنبياء العنف _ معبّراً عن هذه الفكرة "أنه إذا تمسكت البروليتاريا بالآراء الثورية أمكن بالتالي استبعاد الخطر الذي يتهدد مستقبل العالم لكنه من ناحية أخرى حذّر (سوريل) من العنف المضاد، وهو العنف البرجوازي لتدعيم وجوده وتقوية شوكته."[42]

لهذا على المجتمع أن يبني قوة ثورية تقضي على البؤس والاضطهاد، هذا المجتمع "إذا وُكّل إليه بناء الأنظمة الثورية الجوهرية فإن هذه الحساسية الجديدة المعادية لكل قمع ولكل سيطرة تحول في المستقبل، دون تمديد متطرف لـ"الطور الأول"، وهو الطور الذي يُعمد فيه إلى تنمية القوى الإنتاجية على نحو تسلطي وديواني. وعند ذاك يصبح من اليسير على المجتمع الجديد أن يبلغ مستوى يستطيع فيه أن يضع نهائياً حداً للبؤس، وهو المستوى الذي يمكن أن يتركّز جيداً، تحت الإنتاجية الرأسمالية المؤسسة بطريقة داعرة على الثراء الفاحش والإسراف."[43]

وعليه فبقدر ما يُنظّم الأفراد أنفسهم للقيام بالثورة العنيفة، بقدر ما يقوم النظام بتنظيم نفسه أكثر لمقاومتها بثورة مضادة _ وهذه هي جدلية العنف والسلطة والثورة_ وبهذا فقد كان اهتمام ماركوز بردود الفعل تجاه الثورة جد كبير، هذا الاهتمام كان سبب تأليفه كتاب

"**الثورة والثورة المضادة**" الذي يؤكد فيه حقيقة تقول: إنه قد "أدراك العالم الغربي مرحلة جديدة من التطور: (لهذا) فقد بات النظام الرأسمالي مضطرّاً، حتى يتمكن من الدفاع عن نفسه، إلى تنظيم الثورة المضادة داخل حدوده وخارجها على حد سواء."[44] ولكن حسب ماركوز هذه الثورة المضادة ستكون أكثر وحشيةً وعنفاً حتى أنه شبّه أعمالها العنيفة بأعمال النازية والحروب الدينية في العصور الوسطى، وما خلّفته من دماء ودمار، لكن لماذا تمتاز الثورة المضادة بهذه القوة العنيفة وبهذه الوحشية؟

إن للثورة المضادة حسب ماركوز دوراً وقائياً للحفاظ على مكتسبات النظام، والخوف على الدولة من السقوط والانهيار، حيث يقول: "إن الثورة المضادة وقائية إلى حد كبير بصفة عامة؛(...) والحال أن الخوف من الثورة هذا هو الذي يُوحّد مع ذلك بين المصالح ويربط شتى مراحل الثورة المضادة وأشكالها."[45] وخطر الثورة_ حسب ماركوز_ الذي يهدد النظام والدولة والسلطة، سواء أفي الأنظمة الديمقراطية أم الديكتاتورية، يكمن في أنها إذا تحققت ستقتلع جذور كل شيء، وتكون بالتالي الثورة العالمية المرتقبة، إذاً فهذا الخوف من الثورة له ما يبرره وهو "ينسحب على الأطوار كافةً، بدءاً من الديمقراطية البرلمانية إلى الديكتاتورية السافرة، ومروراً بالدولة البوليسية، إن الرأسمالية تُعيد تنظيم نفسها لتواجه خطر ثورة ستكون في حال نشوبها أكثر الثورات التاريخية جذريةً. ستكون في حال نشوبها "**الثورة التاريخية العالمية**" الأولى حقاً."[46]

كما تولد قوى مضادة للثورة ، ويجعل النظام دائماً على أهبة الاستعداد، و تكون النتيجة في كل الأحوال أنه في حالة إذا ما أخفقت الثورة إخفاقاً تاماً أو جزئياً فسيؤدي ذلك إلى حدوث ما يسميه ماركوز بالثورة المضادة وعليه لابد للثورة من أن تكون عنيفة، قوية ومنظمة وواعية وأن تحقق أهدافها، لأنه في حال الإخفاق فلن تقوم لها قائمة مرةً أخرى، وفي هذا الصدد نجد لينين يذكر تقريظ ماركس و إنجلز للثورة العنيفة على البرجوازية ليصل إلى القول: "إن تعاليم ماركس، و إنجلز بصدد حتمية الثورة العنيفة تتعلق بالدولة البرجوازية، فهذه لا يمكن الاستعاضة عنها بدولة بروليتارية (...) إلا بالثورة العنيفة."[47]

وبهذا لا بد من وجود العنف للقضاء على تسلطية البرجوازية، وبالمقابل لتحقيق المتطلبات الاجتماعية والتخلص من اقتصاد العنف وأيّ محاولة دونه هي محاولة فاشلة، رغم أن هناك من ينادي بإلغاء العنف والتحول إلى العمل السياسي، وهذا في الحقيقة يُعد تصوراً خيالياً طوباوياً يرفضه ماركوز الذي أكد "نهاية اليوتوبيا" خاصةً في المرحلة الراهنة التي

زادت فيها قوة رأسمالية الاحتكارات وتسلطها وقمعها، فلابد من واقعية ومواجهتها بالعنف والتمرد والثورة

إذن فالثورة تفترض العنف المنظم واستناداً إلى جدلية ماركس المادية، يرى ماركوز أن الرأسمالية في حد ذاتها قد تُنتج العنف والثورة، لأنها أُسّست عليهما، لكن نتيجتهما في ظل هذا النظام مختلفة تماماً وهنا يقول: "إن رأسمالية القرن العشرين هي بالتحديد التي ستنجب ثورة القرن العشرين ومع ذلك ستكون قاعدتها ووجهتها واستراتيجيتها مختلفة كل الاختلاف عن قاعدة الثورات المتقدمة عليها."[48]

وبالتالي فجدلية العنف والثورة والسلطة جدلية لازمة ولا تتوقف، مادام هناك تسلط وقمع واضطهاد مستمر من نظام يرفض كل نقد أو ثورة أو تغيير ، وفي هذا الصدد نجد "**جان بول سارتر**"(**Jean-Paul-Sartre**)* يدعو إلى استعمال العنف والثورة "باعتبار الثورة ضرورة تفرضها نفسها (...) والتي تقوم بها الشعوب المضطهدة من طرف الغير فالعلاقة بين الثورة، والعنف هي علاقة ضرورية أحياناً (...) ليخرج الإنسان من محنته فيكون العنف تحقيقاً لإنسانيته."[49]

ونحن نعلم تدعيم الفكر الوجودي مع سارتر لكل ثورة عنيفة، هدفها تحقيق إنسانية الإنسان ووجوده الحقيقي لا الزائف، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق الحرية والتحرر، وما موقفه المشرّف من "**الثورة الجزائرية**" إلاّ أكبر دليل على ذلك كما يذكر **عبد المجيد عمراني** في رسالته، حيث نجد سارتر يؤكد كما أكد ماركوز من قبل، أنه لابد أن تكون الثورة هادفة وواعية ومنظمة، لأنهما يربطان نجاح أي ثورة بدرجة التنظيم أولاً، ثم ترتبط بالعنف ثانياً، ولأن ما ينتج عن الثورة ليس تغييراً سياسياً واجتماعياً فحسب، بل إنه تغيير يتجاوز ذلك إلى تغيير في الحاجات والقيم، منها على الخصوص القيم الجمالية والقيم الإنسانية والغريزية، وهذه هي **فلسفة الحرب** لهذا يقول فؤاد زكريا في دراسته لفكر ماركوز "إن الإنسان بحاجة إلى ثورة جديدة تتجاوز نطاق الثورة الاجتماعية، ثورة تعيد إليه قيمة السعادة وترد إليه وعيه بالغريزة، وإحساسه بالجمال."[50] كما تُعد في الأصل هذه دوافع لأي ثورة وأهدافاً لها في الوقت نفسه حسب ماركوز، لكن ضعف الأمل في الثورة عند ماركوز لا يعود إلى عدم وعي هذه الحاجات فحسب، بل يعود كذلك إلى أن النظام محكم سيطرته على الوضع حيث استطاع أن يلبي بعض الاحتياجات والقيم الزائفة التي جعلت الأفراد يعيشون في وهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الثورة المضادة_ أي رد فعل النظام_ تملك السلطة

التي بواسطتها تستطيع أن تقاوم أيّ حركة عنف أو تمرد والواقع حسب ماركوز إذن "أن الثورة المضادة هي التي تملك في الوقت الحاضر المبادرة والسلطة (...) ويصطدم الجذريون بعداء شعبي عنيف، وهم فريسة سهلة للملاحقة والاضطهاد، لكن ضحالة الطاقة الثورية هذه في عصر أوج التطور الرأسمالي خدّاعة."[51]

إذاً يجب ألاّ ننخدع بإضعاف القوة الثورية من طرف النظام لأن هذا لن يطول، ولأن كل مجتمع يقوم بالثورة يمر بعدة مراحل قبل وأثناء وبعد قيامها، فقبل الثورة لابد من وعي وتنظيم، وأثناء الثورة لابد من قوة وعنف، وبعد الثورة لابد من القضاء على التسلط، والقمع وتجسيد الحرية والقيم الجديدة وكذلك للثورة ظروف خاصة لابد أن تتوافر لقوله: "إن وضعاً غير ثوري يختلف في جوهره وأساسه عن وضع ثوري أو ممهد للثورة. ولا يمكن إلا للتحليل النظري وحده أن يتيح إمكانية استيعاب الوضع السائد واحتمالاته."[52] وإذا تحققت الثورة يوماً فلا بد من الحفاظ على مكاسبها، ولا يكون ذلك إلا بأن تتحول بالفعل السلطة في كل أبعادها إلى أداة حقيقية بيد الثورة والجماهير الثائرة، وهي النتيجة النهائية لكل ثورة وعنف.

الخاتمة

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الثورة والعنف والسلطة ثلاثية الفكر الماركوزي، أساسها الجدل ونتيجتها التغيير وهدفها النظام، فلا ثورة دون عنف، لأن هذا الأخير يهدف بدوره بالأساس إلى تغيير أنماط السلطة والتسلط بكل أشكالها، مما يؤدي إلى أن يتغير التاريخ والمجتمعات، بل والأنظمة ولو أن فؤاد زكرياء في دراسته لماركوز يؤكد أن ماركوز أراد أن يشعل نار ثورة من نوع جديد، لكنه أخفق لأنه ظل على الدوام فيلسوفاً حالماً لا ثورياً واقعياً.

لكن أليس من حق الفلاسفة أن يحلموا، وهل كان ماركوز بعيداً عن الواقع حقا؟

إن تشخيص ماركوز لواقعه وأمله في الثورة وربطها بالعنف المشروع لإحداث تغييرات في السلطة والمجتمع والسياسة وحتى الاقتصاد _حلم_ لكنه حلم واقعي لا خيالي وهو كثيراً ما وقف في دراساته ضد الفكر اليوتوبي أوالخيالي والوثوقي، لأنه كان يهدف من خلال نقده الشامل، إلى تحقيق الحرية والتحرر كمطلبين أساسيين والقضاء على الاضطهاد والاستعباد، وهو ما يجعلنا نقول عن فكره إنه فكر ناقد لا فكر حالم.

الاحالات والمراجع:

[1]– محمد الجوّة، مفهوم القمع عند ماركوز وفرويد، ترجمة فتحي الرقيق، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1999،ص 163.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة، بيروت،1965، ص 11.

[4]– شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، قضايا العنف السياسي والثورة،ط1، الدار المصرية اللبنانية،2001، ص 21.

[5]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 12.

[6]– Herbert Marcuse,Culture et société,éd. de Minuit ,Paris,1970, p.296.

[7]– محمد الجوّة، مفهوم القمع عند ماركوز وفرويد، مرجع سابق، ص ص 164_165.

[8]– شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 37.

[9]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص ص 17_ 18.

[10]– شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 37.

[11]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 18.

[12]– شعبان الطاهرالأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 12.

[13]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 36.

[14]- Herbert Marcuse,La fin de l'utopie,éd. de seuil, Paris,1968, p. 41.

[15]- Herbert Marcuse,Actuels, éd. Galilée, Paris, 1979 , p. 30.

[16]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 42.

[17]– المصدر نفسه، ص 53.

[18]– شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص 55.

[19]– بيار دومينيك فاقر، الماركسية بعد ماركس، ترجمة نسيم نصر،ط1، منشورات عويدات،بيروت،1974،ص 184

[20]– روبرت ماكيفر، تكوين الدولة، ترجمة حسن صعب،(د ط) دار العلم للملايين، بيروت، (د ت) ص 337.

[21]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 83.

[22]– المصدر نفسه، صص 84_85.

[23]– هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص 86.

[24]– هربرت ماركوز، الحب والحضارة، ترجمة مطاع صفدي، ط1، دار الآداب، بيروت، 2007، ص 103.

[25]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[26]– علاء صاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس،ط1، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، (د ت)ص 76.

[27]– الطيب تيزيني، على طريق الوضوح المنهجي،ط1، دار الفارابي، بيروت، 1989، ص 185.

[28]– هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، ، ترجمة عبد اللطيف شرارة،(د ط) دار العودة، بيروت،1971، ص ص 129_130.

[29]– حنّة أرندت، في العنف، ترجمة إبراهيم العريس،(د ط) دارالساقي، بيروت(د ت) ص ص 56_57.

[30]– هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 130.

[31]– المصدر نفسه، ص ص 131_132.

[32]– سهيرعبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركوز، (د ط) دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص 104.

[33]– حسن محمد حسن، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت _ ماركيوز نموذجاً _ ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2001، ص 203.

[34]– المرجع نفسه، ص 213.

[35]– فؤاد زكرياء، هربرت ماركوز، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004، ص ص 35_ 36.

[36]– هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 133.

[37]– المصدر نفسه، ص 134.

[38]– نقلاً عن راتكفو فيتشبو بوفيتشباسي تشبتشوليتش، الاشتراكية والدولة، _أو دور العنف التاريخ_ تعريب وتقديم جورج طرابيشيط1، دار الطليعة، بيروت، 1965م، ص 11.

[39]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[40]– هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 135.

[41]– المصدر نفسه، ص 143.

[42]– نقلاً عن مجدي الجزيري، العنف والتاريخ عند جورج سوريل، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية، 2001ص 86.

[43]– هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص 144.

[44]– هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة، _نحوحساسية ثورية جديدة_ ترجمة جورج طرابيشي،(د ط)دار الآداب، بيروت (د ت) ص 07.

[45]– المصدر نفسه، ص 08.

[46]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[47]– نقلاً عن منير شفيق، الدولة والثورة، رد على ماركس، إنجلز، لينين، ومقاربات مع الرؤية الإسلامية، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،2001 م، ط1، ص 53.

[48]– هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة، مصدر سابق، ص ص 14_15.

*أديب وفيلسوف فرنسي وجودي (1905_1980م) من أهم مؤلفاته: الوجود والعدم.

[49]– نقلاً عن فريدة غيوة حيرش، من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل_ دراسة تحليلية لمشكلة التغيير الجذري عند سارتر _(د ط) مطبوعات جامعة قسنطينة، 2003 ، ص ص 310_311.

[50]– فؤاد زكرياء، هربرت ماركوز، مرجع سابق، ص 43.

[51]– هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة، مصدر سابق، ص ص 37_38.

[52]– هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة، مصدر سابق، ص 43.